مليون ريال ومثلها المانيا وانفقت برازيل ستمئة الف ريال وكلٌّ من بريطانيا والمكسيك والصين واليابان اكثر من خمس مئة الف ريال. ومباني المعرض غاية في الاتساع والفخامة فقصر الفنون طولهُ ٧٥٠ قدماً وعرضهُ ٥٢٠ قدماً ومثلهُ قصر المعادن والتعدين وقصر الحكومة بقبتهِ العالية طولهُ ٨٠٠ قدم وعرضهُ ٢٦٠ قدماً . وقصر الآلات طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٥٢٥ قدماً وكذلك قصر الصنائع المختلفة . وقصر الصادرات طولهُ ١٣٠٠ قدم وعرضهُ ٥٥٩ قدماً وقصر الزراعة والآلات الزراعية طولهُ ١٦٠٠ قدم وعرضهُ ٥٠٠ قدم

والمعرض في ارض فسيحة مساحتها ١٢٠٠ فدان مملوءة بالغابات وفيها الآن نحو الف بناء الكبرى منها اثنا عشر بناء وهي تشغل ارضاً مساحتها ١٢٨ فداناً وقد نشرنا صور بعضها في هذه المقالة اظهاراً لما في ظاهرها من حسن الاتساق واحكام الصنعة وجمالها وسننشر غيرها في الاجزاء التالية وقد أرسلها الينا حضرة مكاتب المقطم الخصوصي في المعرض

مصير الانسان

يظن الجمهور ان معرفة مصير الانسان غير مقدورة لبني آدم الاَّ اذا كان هذا المصير مرتبطاً بامور ماضية او حاضرة ارتباط المعلول بالعلة وكانت هذه الامور معلومةً . لكن اذا تعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ كل انسان على حدتهِ فقد لا يتعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ النوع كلهُ بالاجمال . مثال ذلك اذا اتيتَ بعربة مملوءة رملاً لتفرغها في دارك فانك لا تستطيع ان تضع يدك على حبة من حبوب ذلك الرمل وتعين مصيرها وتقول الى اين تصل بعد وقوع الرمل من العربة . ولكن لا يصعب عليك ان تعلم كيف يكون شكل الرمل كلهِ بنوع عام بعد وقوعهِ فانهُ لا يقع منبسطاً في سطح مستوٍ ولا مائلاً في شكل هرم ولا قائماً في شكل موشور او اسطوانة بل يكون اكمة هذلولية . تعلم ذلك ولا يتعذَّر عليك اثباتهُ بالدليل الهندسي . وهكذا مصير نوع الانسان فان معرفتهُ بوجه عام لا تتعذَّر على الناقد البصير

طالعنا بالامس مقالة في هذا الموضوع للمسترولس احد مشاهير الكتَّاب قال فيها ان الناس من حيث النظر الى مصيرهم فريقان الفريق الاول وهو الاكبر لا يهتمُّ بهذا المصير مطلقاً لانهُ يقول ان المستقبل محجوب بحجب الغيب فلا سبيل للوصول اليهِ وكأنهُ ينطق بلسان الشاعر العربي القائل

واعلمُ علم اليوم والامسِ قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

والفريق الثاني اقل عدداً من الاول وهو في الغالب من الشبان اهل العصر الجديد يهتمُّ بمستقبل الانسان اكثر مما يهتم بماضيهِ ويبحث عن مصيرهِ كما يبحث عما كان فيهِ . فالفريق الاول ينظر الى الحاضر من حيث علاقتهُ بالماضي والفريق الثاني ينظر اليهِ من حيث علاقتهُ بالمستقبل . الاول من اهل الذكر الذين لا تنجلي لهم الامور الاَّ اذا قارنوها بما تقدَّمها وعرفوا ارتباطها بما يتذكرونهُ . والفريق الثاني من اهل النظر الذين يحسبون الحاضر اساساً للمستقبل فلا يكتفون بهِ بل يبحثون دواماً عما سيبنى عليهِ . الاول ينظر الى الحياة الحاضرة من حيث هي ثمرة الحياة الماضية والثاني ينظر اليها من حيث هي شجرة تثمر اثماراً مقبلة . وكأن عقل الفريق الاول عقل قاضٍ يطبّق احكامهُ على الشرائع التي تعلَّمها والقوانين التي اطَّلع عليها ولا يقبل حكماً ما لم يكن منطبقاً على قانون مقرر . واما عقل الفريق الثاني فكعقل المشترع الذي يسنُّ القوانين وينقحها بالتغيير والزيادة والنقصان حاسباً ان سلطتهُ فوق سلطة القانون لان تغييرهُ في يدهِ

ومن رأي المستر ولس ان العقل الاول عقل اهالي المشرق بنوع عام والعقل الثاني عقل اهالي المغرب ونخاف ان يكون رأيهُ صحيحاً فانك اذا محَّصت اكثر ما يكتبهُ ابناء الاقطار الشرقية تجدهُ مفاخرةً بالآباء والاجداد بمجد العرب والمصريين والفينيقيين . كأنهم نسوا قول مَن قال

وما الفخر بالعظم الرميم وانَّما فخار الذي يبغي الفخار بنفسهِ

والفرق واضح بين العقل القضائي والعقل التشريعي يقول الاول اننا على ما نحن عليهِ لامور اقتضت ذلك رأيتا آباءنا فيهِ وبهديهم نحن مهتدون . ويقول الثاني اننا على ما نحن عليهِ استعداداً لامور ستحدث وتمهيداً لما سيصل ابناؤنا اليهِ

الاَّ ان جمهور الناس لا ينقطع للتفكير بالماضي وحدهُ او بالمستقبل وحدهُ بل يفكر كثيراً بالماضي وقليلاً بالمستقبل او كثيراً بالمستقبل وقليلاً بالماضي حسب استعدادهِ . واضطراب الناس في احكامهم حادث في الغالب عن مزجهم امور الماضي بامور المستقبل او عدم تمييزهم بين الاولى والثانية فترى الذين ينظرون الى الماضي يبحثون عن الاسباب والذين ينظرون الى المستقبل يبحثون عن النتائج والذين ينظرون الى الماضي والمستقبل معاً تتشوش عليهم الامور فيخلطون بين الاسباب والنتائج

كان الناس يقيسون الامور الادبية ببعض الاحكام والقواعد المقرَّرة فيقولون مثلاً ان السرقة حرام لانهُ قيل في الوصايا العشر "لا تسرق" غير ناظرين الى عواقب السرقة في امور

الناس ولا يزال كثيرون يحسبون انهُ لابدَّ من الجري على هذه الاحكام كيفما كانت الحال لانها احكام ادبية مقرَّرة . لكن قام البعض وانكروا انها احكام ادبية واجبة الاتباع دائمًا وحكموا بانهُ لابدَّ من النظر الى النتائج ولان النتيجة تبرر الواسطة او تخطئها والجمهور مضطرب بين القولين يتبع هذا مرة وذاك أخرى ولكن اعتبار النتائج آخذ في الشيوع فقد قام فريق من الناس يعدُّ قيمة الاعمال الادبية على حسب النتائج التي تنتج عنها ويقول ان القوانين الادبية وسائط لغايات فلا شأن لها لذاتها وانما شأنها في ما تؤدّي اليهِ من الغايات فاذا حسنت نتيجتها فهي واجبة الاتباع والاَّ فلا . والجمهور بين بين يتمسك بالقوانين الادبية نظرًا مدعيًا انها احكام مقرَّرة لا تتغير ويجري على ضدها عملاً اذا اقتضت مصلحتهُ او مصلحة بلاده ذلك . مثالهُ ان تعدَ امة من الامم انها تفعل فعلاً ما وتؤكد وعدها بالقسم او بغيرهِ من وسائط التأكيد ثم تجد ان الوفاء بهذا الوعد يضرُّ بها او بغيرها من الامم او الجمهور من الناس وان الحنث ينفعها او ينفع غيرها ولا يضرُّ احدًا او ان نفعهُ اكثر من ضررهِ فتخالف وعدها وتحنث بيمينها حاسبة ان النتيجة هي الغرض المقصود من الوعد والعهد ومصلحة النوع تقتضي جلب النفع الاكبر بالضرر الاقل . هذا اذا كان وجه النفع من إخلاف الوعد ظاهرًا ولكنهُ اذا لم يكن ظاهرًا اختلف الناس في السبيل الذي يتبعونهُ فصاحب العقل القضائي يقضي باتباع السنَّة القديمة ويقول بعدم اخلاف الوعد مهما كانت النتيجة واما صاحب العقل التشريعي فلا يصعب عليهِ كسر السنَّة القديمة وسن سنَّة أخرى بدلاً منها فيقول ان الامور بمقاصدها والغاية تبرر الواسطة . والمنقلب الذي لا رأي لهُ يتبع الخطة الاولى تارة والثانية اخرى حسب العوامل التي تؤثر فيهِ

وقد بلغ الاضطراب في الاحكام غاية في الغرابة مثال ذلك ما حدث في هذه الحرب الاخيرة وفي اكثر الحروب الحديثة فانهُ اذا خالف احد الخصمين عادة متبعة استخط الناس اجمع فاتهموهُ بالغدر والخيانة وانتهاك المحارم ولو كان ما فعلهُ قاصرًا على قتل سفير او تمزيق راية ولكن اذا نشبت نار الحرب واثخن احد الخصمين في الآخر فقتل منهُ في واقعة واحدة عشرة آلاف نفس اعظموا فعلهُ ومجَّدوهُ وضفروا لهُ اكاليل الظفر غير ملتفتين الى ما ينتج من قتل عشرة آلاف نفس من المضار لعشرة آلاف بيت . ولكن يقال بنوع عام ان الناس صاروا يقيسون الحروب والخصومات بما تؤول اليهِ في مصالح الامم لا بعلاقتها بمصالح الافراد ولا بارتباطها بالقوانين والمعاهدات الماضية كأن مستقبل الامم بنوع عام هو الغرض المقصود بالذات

ونظر المستر ولس في السبب الذي يحمل اكثر الناس على الالتفات الى الماضي وعدم

الالتفات الى المستقبل فقال انهُ حب السهولة والراحة فان الالتفات الى الماضي سهل لا يدعو الى نظر كثير وتفكير طويل واما النظر الى المستقبل فعسير لا يسهل تناولهُ على كل واحد والقوى العقلية تجري في الطريق الذي تجد فيهِ المقاومة القليلة كالقوى الطبيعية . والماضي معروف محقق واما المستقبل فمجهول يصعب تحققهُ فاذا وقف الانسان بين سبيلين احدهما سهل نتيجتهُ معلومة والآخر صعب نتيجتهُ غير معلومة اختار الاول على الثاني لكن ذلك لا يصرفهُ عن الرغبة في معرفة المستقبل ولو بواسطة المنجمين والمتكهنين وقارئي أسرَّة الجبهة واسرار الكف

اذا دققت النظر وجدت ان الناس يعلمون من امور الماضي اقل مما يدعون ومن امور المستقبل اكثر مما يظنون . فالمحفوظ في الذاكرة من امور الماضي لا يعتمد عليهِ دائماً لان الذاكرة لا تعي كل شيء ولا تحسن حفظ ما تعيهِ بل تشوشهُ وتضيف اليهِ اموراً ليست منهُ . ومهما اشتدَّت ثقة المرء بذاكرتهِ فانهُ اذا قاسها بما يحفظهُ في القرطاس وجد البون شاسعاً بين ما يحفظ فيها وما يحفظ فيهِ . ولقد امتحنا فعل الذاكرة مراراً فكنا نتلو خبراً على جماعة ثم نطلب منهم ان يكتبوا ما وعوهُ منهُ في ذاكرتهم فلا نجد اثنين يتفقان

ثم ان جانباً صغيراً من معارف الانسان مبني على مدركاتهِ الذاتية والجانب الاكبر على ما قرأهُ او سمعهُ اي على مدركات غيرهِ ولكن ما آفة الاخبار إلاَّ رواتها فقد يتلاعب الرواة في الاخبار لغرض واذا قصدوا الصدق في الرواية فان الذاكرة تخونهم كما تقدم ولا تحفظ الاَّ ما تشاء وكما تشاء ولذلك يقع التضارب في الاخبار الى حد تضيع معهُ الحقائق حتى اذا بعُد السند وكثر التواتر كثر الاختلاف وانقلبت الاخبار عن صورتها الاصلية الى صور اخرى مضادَّة لها وصار الانباء بامور المستقبل اصح من الانباء بامور الماضي ما دام الماضي معتمداً على الاحاديث والاسانيد . ولكن اذا كان للماضي شواهد عيانية ثابتة وتُحصت شواهدهُ تمحيصاً علمياً فدلالتها يقينية مثل الاستدلال على سكان الارض في العصور الجيولوجية ومثل الاستدلال على احوال البابليين والاشوريين والمصريين من آثارهم المنقوشة في الصخور . واننا لنعلم الآن من تاريخ الارض قبل ظهور الانسان عليها اكثر مما نعلم من تاريخها منذ ظهورهِ الى الآن ونعلم من احوال الامم الغابرة قبل زمن التاريخ اكثر مما نعلم من احوال الامم الذين قاموا في زمن التاريخ بل اكثر مما نعلم من تاريخ آبائنا واجدادنا الى الف عام . وهذا العلم لم يحدث بالالهام والمكاشفة بل بالبحث العلمي الدقيق . بالبحث في الصخور والتلاَّل والركام والانقاض . بالبحث والتنقيب والقياس والتقدير والانتقاد والتمحيص من غير معارف سابقة ولا قواعد مقررة بل في وجه عقائد مناقضة واحكام تقيِّد العقل وتمنع البحث

فان كان البحث عن الماضي البعيد الذي حجبتهُ عنا ظلمة العصور الغابرة تكلل بالنجاح فكيف لا ينجح البحث عن الامور الآتية اذا جرى على الاساليب العلمية . وقد فعل الانسان شيئاً من ذلك فانبأ هكسلي مثلاً بان توجد آثار الفرس ويكون في قوائمهِ اصابع كما في قوائم غيرهِ من الحيوانات الفقرية فصدقت نبوءتهُ ووجدت في طبقات الارض آثار خيل في قوائمها اصبعان او ثلاث او اربع او خمس . وانبأ مكسول بأن النور والحرارة والكهربائية شيء واحد يتحول كلٌّ منها الى الآخر فصح ما انبأ بهِ . وانبأ بعض الكيماويين بوجود عناصر غير معروفة وعينوا ثقلها النوعي والجوهري وبعض خواصها الكيماوية فكشفت تلك العناصر ووجدت كما انبأوا عنها . هذا والعلماء غير معتمين بالبحث عن المستقبل ولا حاسبين انهُ يمكن الوصول الى معرفتهِ فكيف لو اهتم كبارهم بذلك وانضوا اليهِ عزيمتهم

نعود الآن الى النظر في مصير الانسان على هذه البسيطة فمن الامور المقررة علمًا ان حرارة الشمس ستنفد يومًا ما فتبرد الارض ولا تعود صالحةً لمعيشة الانسان فينقرض نوعهُ منها ولكن ذلك لا يحدث قبل الوف بل ملايين كثيرة من السنين والانسان ابن الامس لا يطمع بالانباء عمَّا يصير اليهِ بعد هذا العدد العديد من السنين لاسيما وان سيرهُ غير جارٍ على نسق واحد بل هو يتقدَّم الآن في سنة اكثر مما كان يتقدَّم قبلاً في مئة سنة

ومن الامور المقررة ايضًا ان عوالم كثيرة مثل عالمنا واروضًا مثل ارضنا تصطدم وتحترق من وقت الى آخر فيحتمل ان يصيب ارضنا ما اصابها وهذا الاحتمال بعيد ولكن لا شيء ينفي حدوثهُ وليس في طاقة الانسان الانباء بزمنهِ فلا يتعب بالبحث عنهُ

ومنها ان انواعًا مختلفة من الحيوان عاشت على وجه الارض في العصور الغابرة وملأتها ثم انقرضت منها اما بتغير الفصول او باسباب اخرى غير معروفة فلا شيء يمنع ان يحلَّ بنوع الانسان ما حلَّ بهِ او ينتابهُ مرض وبائي يقرضهُ قرضًا ولكن النظر في احوال المخلوقات من اول حيوان ظهر منها وخرج من حمأتها تتعجج ويتلوَّى ويجاهد في طلب المعيشة والنمو والارتقاء الى الانسان ابن القرن العشرين الذي فاق كل من تقدمهُ بمراحل كثيرة يحدو بنا الى الظن بل الى الترجيح او التأكيد ان سلسلة هذا الارتقاء لا تنقطع وانهُ سائر سيرًا مستمرًّا على سلسلة متزايدة والاَّ فلا معنى لهذا الوجود . واذا كان الامر كذلك فمصير الانسان الى حالة ارقى من حالتهِ الحاضرة ودلائل الحال تؤيد ذلك . وسيهتدي الناس الى ما يزيد راحتهم ورفاهتهم ويمنع الشرور والمفاسد والآلام . هذه هي الحالة العامَّة التي يصير اليها نوع الانسان